# النسق البلاغي للكلم النبوي

إعداد

**د. عبد الهادي دحاني**

أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب، جامعة شعيب الدكالي

ابيض

## مقدمة:

يأتي الحديث النبوي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث التشريع، وكذلك من حيث البناء اللغوي والنظم البلاغي، فقد استمد سموه من سمو القرآن وقدسيته. ويعتبر القرآن الكريم ذروة سنامِ الفصاحة، ويليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وكلاهما بلسانٍ عربي مبين.

وسأتناول في هذا العرض بيان النسق البلاغي للكلم النبوي، مدللاً على البلاغة النبوية كحلقة أساسية في تاريخ البلاغة العربية، والتي لا زالت منذ عهد مصطفى صادق الرافعي رحمه الله تحتاج إلى الدراسة والبحث. وقد أدى هذا الأديب الغيور، الذي رأى إهمال الأدباء والنقاد لهذه الحلقة الهامة، ما عليه من حق تجاه البلاغة النبوية، فانبرى يجلي حقائقها، ويكشف عن مقوماتها وأسسها، ودورها في التراث الأدبي والنقدي. ويعد الرافعي الفارس الذي أفرد للبلاغة النبوية حيزاً كبيراً من أعماله، تناول فيه قضايا هذه البلاغة الإنسانية التي لم تصنع، وهي من الإحكام والإتقان كأنها مصنوعة، ولم يتكلف لها، وهي على السهولة والإحسان بعيدة ممنوعة⁽¹⁾.

---

(١) الرافعي، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب: ٢/ ٢٧٩.

لقد بقيت دراسة البلاغة النبوية تعاني من الشح، حيث اشتغل البلاغيون على النص القرآني، وأهملوا النص الحديثي، وهو منه وإليه، وبلاغة القرآن تدل على بلاغة الحديث النبوي. ومن العجب أن الدراسات التي تناولت تاريخ البلاغة، تزعمها نقاد كبار اشتغلوا بتدريس البلاغة ردحاً من الزمن، من أمثال شوقي ضيف، وهو الذي خصص لذلك كتابه المعنون ((بالبلاغة تطور وتاريخ))، وقد استهله بالحديث عن البلاغة عبر منازل التاريخ، ويريد أن يقف عند كل مرحلة من هذه المنازل، ويتحدث عن الفرص التي أتيحت بجامعة بيروت لتدريس تاريخ البلاغة وتطورها، ويقر بأنه سيتتبع هذا التطور بدقة، وبأنه سيدرس بلاغتنا "درساً منظماً بحيث ترتب حياتها على منازل التاريخ، وبحيث تتضح معالم تطورها في كل منزلة من دورة زمنية إلى دورة، ومن جيل إلى جيل"(١). لكن ذلك لم يسعفه، على الرغم مما نبه عليه في مظان تناوله للبلاغة الجاهلية، حيث يرى بأن المحاولات البلاغية في العصر الجاهلي لم تنم إلا بعد ظهور الإسلام بفضل ما نهجه القرآن الكريم والحديث النبوي من طرق الفصاحة والبلاغة، إلا أنه لم يعط لهذه المرحلة من ظهور الإسلام ما تستحقه من دراسة للبلاغة النبوية، حيث قفز مسرعاً إلى فترة العصر الأموي ومابعدها،

---

(١) ضيف، شوقي: البلاغة تطور وتاريخ: ص٥.

ولم يقف عند الكلم النبوي الذي كان يذيع على كل لسان، وكانت خطب الرسول صلى الله عليه وسلم تملأ الصدور والقلوب، وتقلدت فصاحته قمة البيان. فاكتفى فقط بالتدليل على هذه البلاغة النبوية التي أفحمت البلغاء بما قاله الجاحظ في وصفه لهذه البلاغة النبوية وإبرازه لدورها في نشأة البلاغة العربية وتطورها. ثم أتى بنماذج من بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم للكشف عن أهمية هذه الحلقة الذهبية من تاريخ البلاغة وتطورها، ولكنه سرعها ما يتحول عنها مكتفياً بلمحة خفيفة، لينتقل بعد ذلك إلى عصر بني أمية والعصر العباسي وما بعدهما. ولعمري كم كانت الآمال متعلقة بهذه الدراسة التي قام بها شوقي ضيف في تاريخ البلاغة وتطورها، ترقب نفض الغبار عن هذه الحلقة المفقودة؟

ولازالت الدراسات البلاغية في مجال الكلم النبوي محتشمة إلى اليوم، باستثناء بعض الاجتهادات التي ظهرت على أيدي باحثين مشكورين، مثل كتاب "أضواء على البلاغة النبوية" لإبراهيم العجلي، و "أثر التشبيه في تصوير المعنى، قراءة في صحيح مسلم" لعبد الباري سعيد، و"السياق وتوجيه دلالة النص" لعيد بلبع. ويحتاج الأمر إلى توجه حقيقي نحو دراسة البلاغة النبوية، لاسيما وهي تحمل المنهج النبوي الذي مهد للبلغاء التفنن في روائع الكلام بمختلف ضروب البلاغة. والرسول صلى الله عليه وسلم

بيّن الأصول الموصلة إلى الحق أحسن بيان، وبيّن الآيات الدالة على الخالق وأسمائه ووحدانيته. فأين تتجلى مظاهر هذا البيان وهذه الفصاحة وهذه البلاغة النبوية؟ وأين حظها من الدراسات البلاغية الموجودة في الساحة النقدية والأدبية؟

وأقدم العرض في محورين، أحدهما نظري، والآخر تطبيقي:

أما المحور النظري فيتطرق إلى النقط التالية:

١ – بلاغة الكلم النبوي من بلاغة القرآن.

٢– نفي الشعر عن النبي وإثبات البلاغة له.

٣– خصائص البلاغة النبوية: بلاغة الإيجاز والإطناب.

وأما المحور الثاني فيتضمن مظاهر البلاغة النبوية، واقتصرت فيها على مجالين لأهميتهما، ولاستيفائهما لكثير من خصائصها، وهما:

١ – بلاغة الدعاء.

٢–بلاغة التعليم.

**العرض:**

لغة النبي صلى الله عليه وسلم لغة الوضع بالفطرة القوية المستحكمة، وبيانه بيان أفصح الناس نشأة، وأقواهم مذهبا، وأبلغهم ذكاء وإلهاما، وحكمته حكمة النبوة، وتبصير الوحي، وتأديب الله، وأمر في الإنسانية

مثال الإنسانية الحقة. والقصد في الكلام والإحاطة بالمعنى هما من خصائص الأسلوب النبوي في التعبير. لقد كانت دقة أسلوبه صلى الله عليه وسلم في التعبير عن المعاني الكثيرة بالألفاظ المختصرة والمقتصدة. وكان يختار الألفاظ المعبرة بدقة متناهية، بعيداً عن التكلف والصنعة. إنه النسق النبوي، وهو الذي يبينه في قوله: "أنا أفصح من نطق بالضاد"(١).

و يقوم النسق البلاغي للكلم النبوي على فصاحة وبيان لم ينحتا من صخر، ولم يستمدا من مدرسة يشرف عليها أساتذة اللغة وفرسان البلاغة. وإذا كانت العرب لايبرز عندهم البليغ إلا إذا مر بالتجربة المحكمة بجودة الصنعة في تهذيب القول وإحكامه، فإن شيئاً من ذلك لم يعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى تتكون فصاحته من نظر متقدم وروية مقصودة كما ذكر الرافعي رحمه الله، فقد تنزه عن أي تكلف يستعان له بأسباب الإجادة التي تسمو إليها الفطرة اللغوية، كما تنزه عن أن يأخذ من تجربة غيره أو خبرته، كما تصنع العرب في أخذ بعضهم عن بعض. فإن شيئاً من ذلك لم يحصل في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه أخذ عن ربه ولم يأخذ عن غيره، وليس ذلك موهبة كما يدعي البعض، لأن الذي علمه الفصاحة والبيان هو الرحمن الذي علم الإنسان، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ (١) عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ (٢)

---

(١) الشوكاني، محمد بن علي: الفوائد المجموعة : رقم٣٢٧، والحديث لا أصل له، ومعناه صحيح.

خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾(١)، وقد علمه الوحي قبل ذلك، ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥﴾(٢)، والله هو الذي علم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم وعلم سائر الأنبياء والمرسلين، علمهم كل شيء، وأول شيء علمهم إياه هو وسيلة البلاغ المبين للوحي الذي جاءوا به.

## بلاغة الكلم النبوي من بلاغة القرآن العظيم:

شرف علم البلاغة مستمد من شرف القرآن العظيم ومن ارتباطه بالتفسير، والبلاغة أول علم يحتاج إليه المفسر. وقد اكتسب علم البلاغة هذا الشرف من القرآن فاكتسب معه قيمته الدينية بين العلوم الإسلامية والعربية، لأنه يعين على فهم النص القرآني، ويسعف المفسر في الوقوف على أسرار التنزيل.

ولذلك افتخر به الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث وجد فضله من الله تعالى عليه بما حباه من الفصاحة والبيان، فقال: "أنا أفصح من نطق بالضاد"(٣). وروى عنه أبو هريرة –رضي الله عنه–أنه قال: "نصرت بالرعب على العدو، وأوتيت جوامع الكلم. وبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فوضعت في يدي"(٤).

---

(١) سورة الرحمن: الآيات ١–٤.

(٢) سورة النجم: آيتان ٥–٦.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) مسلم، مسلم بن الحجاج: **صحيح مسلم**: رقم ٥٢٣، رواه أبو هريرة بإسناد صحيح.

و بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم مستمدة من بلاغة القرآن العظيم الذي تتمثل فيه فنون البلاغة على أحسن وجه. ويرى مصطفى صادق الرافعي رحمه الله أن فنون البلاغة في القرآن هي أصل في بنائه، وأن نظم القرآن يقتضي كل ما فيه منها اقتضاءً طبيعياً. ومن المعلوم أن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم الذي هو من جوامع الكلم قد نسج على هدي الكلم القرآني الذي هو الوحي المنزل على رسول الله الموحى إليه، فكان كلامه صلى الله عليه وسلم منصبغاً بصبغة البلاغة القرآنية، لأنه لا ينطق عن الهوى، وإنما هو وحي من الله يوحى إليه.

ولو أن أحداً أراد أن يجاري كلام الرسول صلى الله عليه وسلم لما تأتى له ذلك، لأن البلاغة النبوية مستمدة من إعجاز القرآن الكريم، فلا يجارى كلامه لأنه من السهل الممتنع. وقد نرى أهل اللغة الواحدة يؤدون الغرض الواحد بوسيلتهم اللغوية والبلاغية عبر طرائق تعبيرية شتى، يتفاوت حسنها وجمالها، ولكنه لا يستطيع أن يبلغ حسن الكلام النبوي ولا جماله، لأن بلاغته عامة ومستمرة، متمثلة في كل كلامه، كما هي البلاغة القرآنية عامة ومستمرة، حيث تتمثل في جميع سوره وآياته، لكنها في كلام العرب غير متوفرة على ذلك العموم والاستمرار، فلا تكون البلاغة فيه إلا إشارات متفرقة، وسرعان ما ينقلب الكلام من حال إلى حال، ولا يتأتى

فيه الثبات على البلاغة والفصاحة في جميعه. وفي هذا الشأن يقول حازم القرطاجني، وإن كان كلامه هنا ينصرف إلى المقارنة بين بلاغة القرآن وبلاغة العرب، لكنه أورد وصفاً مناسباً للبلاغة النبوية، حينما نبه على وجه الإعجاز في القرآن من حيث استمرار الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها، استمراراً لا يوجد له فترة، ولا يقدر عليه أحد من البشر، يقول: "وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائها في العالي منه إلا في الشيء اليسير المعدود، ثم تعترضه الفترات الإنسانية، فينقطع طيب الكلام ورونقه، فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه، بل توجد في تفاريق وأجزاء منه"(١).

ولما كان كلام العرب قد اشتمل على بعض فنون البلاغة القرآنية، فإن كلام النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتمل على الكل وليس البعض فقط من هذه الفنون، فكان كلامه قرآنياً، وهو القول البليغ الذي أمر بتبليغه. وقد أمره ربه عز وجل أن يعامل المعارضين لدعوته بهذا القول البليغ الذي ينفذ إلى القلوب متجاوزاً الآذان، فقال الله تعالى: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣﴾(٢). وقد ذهب الزمخشري إلى تفسير الآية تفسيراً معتمداً على الإقناع والتأثير في المخاطبين المعارضين لدعوة النبي صلى الله

---

(١) القرطاجني، حازم: منهاج البلغاء: ص٢٨-٢٩.

(٢) سورة النساء: آية٦٣.

عليه وسلم، فقال: "قل لهم قولاً بليغاً مؤثراً في قلوبهم، يغتمون به اغتماماً، ويستشعرون منه الخوف استشعاراً"⁽¹⁾.

ولذلك ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم المعنى نفسه بصيغته البلاغية التي ورد بها في القرآن الكريم، حيث يقول: "إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها"⁽²⁾.. فهو يعيب بهذا الوصف في حديثه أولئك الثرثارين المتشدقين، ولم يقصد صفة البليغ بذاتها مجردة، بل قرنها بالتشادق والتقعر في الكلام، مع الخيلاء والتباهي بذلك، ومن أجله شبه ألسنة هؤلاء الصنف من الناس في عدم استقامتها، وفي كثرة روغانها في الكلام بألسنة البقر في تخللها.

**نفي الشعر عن النبي وإثبات البلاغة له:**

نزه الله تعالى رسوله عن أن يعلمه الكتاب والحساب، ولم يرغبه في صنعة الكلام، وتتبع الألفاظ وتكلف المعاني، فقال الله تعالى في حقه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾⁽³⁾. فأغناه الله عن ذلك كله وجمع باله، حتى لا يتكلف في طلب البلاغة في القول. ولم يعلمه الشعر،

---

(١) الكشاف: ١/ ٤٠٧/ ٤٠٨.

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى: صحيح الترمذي: ٤/ ٣٤، والألباني، ناصر الدين: **تخريج مشكاة المصابيح**: رقم ٤٧٢٨، والحديث رواه عبد الله بن عمرو بن العاص بإسناد حسن وهو صحيح لغيره.

(٣) سورة العنكبوت: آية٤٨.

وما ينبغي له أن يكون شاعراً، لأن الشعراء يتكلفون الصنعة، ويخرج بهم قول الشعر إلى المباهاة، فيتزيدون ويتفاضلون، ويطمعون في الذكر الحسن بين البلغاء والشعراء.

ولهذا السبب كان الصحابة رضوان الله عليهم يقتدون برسول الله في التنزه عن الصنعة في الكلام، حتى لا يكون لهم رغبة في الذكر المحمود من الشعراء والأدباء، مما من شأنه أن يجرهم إلى الاستجداء أو أن يجرهم -على الأقل- إلى البحث عن الحظوة وطلب الذكر. وليس معنى هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد نشأ على بغض الشعر، بل إنه نشأ على عدم نظمه، لكنه كان يتذوقه ويستحسنه، كما فعل مع شعر عنترة بن شداد ولبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت وغيرهم.. لكن الصحابة ظلوا- رغم اقتدائهم بنبيهم-يمضون على ما كان من أمرهم في الجاهلية، ويثبتون على أخلاقهم وعلى أصول طباعهم. فقد ذكر الرافعي، رحمه الله، أن الشعر كان حكمة القوم وسياستهم ومعدن آدابهم وديوان أخبارهم، بل كان عبادة أرواحهم لطبيعة أرضهم، والصلة المحفوظة بينهم وبين ماضيهم(١).

لقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في البلاغة الغاية التي لا تدرك إلا بعناية إلهية خاصة، فكانت بلاغته هاته من خصال كماله، فهو لا يتكلم

---

(١) الرافعي: تاريخ آداب العرب: ٢/ ٢١١-٢١٢.

إلا بالحق، ولا ينطق إلا بالحكمة. والحكمة التي تصاغ في أسلوب بليغ تنفذ إلى القلوب قبل أن تنفذ إليها الحكمة التي تلقى بعبارة غير بليغة. ثم إن الحق يعتمد الحجة والبرهان، ولكن البلاغة تجعل الحق أقرب إلى النفوس والحجة أنفذ إلى القلوب. وقد اعتمد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام البلاغة في تبليغ رسالات الله، واعتبروها الوسيلة الأساس في البلاغ. وهذا نبي الله موسى عليه السلام يطلب من ربه الاستعانة بالفصاحة والبيان في القيام بدعوته، فيتوجه بالدعاء إلى ربه ضارعاً إليه كي يحل عقدة لسانه، ويشد أزره بأخيه فصيح اللسان هارون عليه السلام، حتى يفهم عنه قومه قوله ويفقهوا رسالته. وقد ذكر الله تعالى ذلك في قرآنه العظيم حيث قال: ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ ﴾(١). والإشراك في الأمر هو التعاون على حمل الرسالة باستعمال الفصاحة والبيان في تبليغها.

**بلاغة النبي فيض إلهي:**

يمتاز نسق البلاغة النبوية في جملته بأنه شيء لا تجده في كلام الفصحاء، ومع ذلك فهو معدود في ضروب الفصاحة ومتعلقاتها. وهو أمر إلهي أمر الله تعالى به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم من أجل أن يبلغ كلامه عز وجل

---

(١) سورة طه: آيات ٢٤-٣١.

للناس، وفصله عن كلام البشر، وأرشده إلى القول البليغ ليرد به على المعاندين والجاحدين، فقال عز وجل: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾(١). وبهذا تكون البلاغة أمراً إلهياً مرتبطاً بالوحي المنزل على النبي المرسل محمد صلى الله عليه وسلم، قبل أن تكون ظاهرة أسلوبية، أو ظاهرة أدبية كما يدعي البعض. وقد فسر الراغب الأصفهاني البلاغة، واعتبر البليغ باعتبار القائل والمقول له، وهو أن يقصد القائل أمراً فيورده على وجه حقيق أن يقبله المقول له(٢).

ومن ثم يمكن القول بأن فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم هي فيض إلهي، وهي مستمدة من إعجاز الوحي الذي نزل عليه، فتحرك به لسانه على عجل، إلا أن الله نهاه أن يعجل به قبل أن يقضى إليه الوحي، فقال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾(٣)، وقال: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾(٤). وقد أنزل الله القرآن الكريم بلغة قريش التي كانت مهيمنة ومستوعبة لجميع اللغات واللهجات السائدة في شبه جزيرة العرب، يعضدها في ذلك مكانة قريش وسيادتها، ورفادتها للحجيج من جميع

---

(١) سورة النساء: آية ٦٣.

(٢) الأصفهاني: الراغب: المفردات: ص ٦٠.

(٣) سورة القيامة: آية ١٦.

(٤) سورة طه: آية ١١١.

القبائل، إضافة إلى محوريتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، حيث تضافرت كل هذه العوامل وغيرها على توحيد لغات العرب تحت لواء اللسان القرشي، وتأهيله لاستيعابها. وقد أدت كل هذه العوامل إلى تمحيص لغة قريش لتكون أعرب لسان وأبلغه وأبينه وأفصحه، فكان لكل ذلك تأثير على لغة النبي صلى الله عليه وسلم، كما كان لنزول القرآن الكريم عليه ، وهو القرشي، ولسانه لسان القرشيين، الأثر البالغ في فصاحته وبيانه. وقد أطلع الله رسوله المجتبى على لغات القبائل ولهجاتها، فكان ينهل منها ما يشاء، كما كان لنشأته في بني سعد بن بكر الذين استرضع فيهم دور كبير في فصاحته صلى الله عليه وسلم، حيث من المعلوم أن بني سعد هم من أفصح القبائل العربية، وكانت عادة قريش أن ترسل أطفالها إلى هذه القبيلة المتبدية، يطلبون بذلك إحكام العربية، وصحة النشأة، وحرية النزعة، وما إلى ذلك من التنشئة على أخلاق العرب الأصيلة. ويكفي في امتلاك ناصية البلاغة والفصاحة أن ينشأ الإنسان في قريش وبني سعد وحدهم، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، ونشأت في بني سعد، وارتضعت في بني زهرة"(١)، فهؤلاء هم أفصح القبائل وأخلصها منطقاً، وأعذبها بياناً. وليس في العرب قاطبة من

---

(١) ابن الملقن، عمر بن علي: خلاصة البدر المنير: ٢/ ٢٥١، وفيه أن الحديث غريب كله.

جمع الله فيه هذه الصفات والخصال، وأعطاه الخالص منها، وخصه بجملتها، وأسلس له مآخذها، وأخلص له أسبابها مثل النبي صلى الله عليه وسلم.

لقد اختار الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، واصطنعه على عينه سبحانه وتعالى، وعلمه ما لم يكن يعلم، وأرشده إلى الأسلوب الأمثل في التعبير والمنطق، وأطلق لسانه بالبيان وبالحكمة. والله تعالى أعلم حيث يجعل رسالاته، وهو الذي آتى رسله ما لم يؤت غيرهم من خلقه وأرسلهم بألسنة أقوامهم ليبينوا لهم، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾⁽²⁾. ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب جميع قبائل العرب، كل قبيلة بلغتها وعلى مذهبها في الكلام.

وقد شهد الصحابة بفصاحة النبي التي بهرتهم، وهم أهل اللغة وأرباب البيان. وهذا صاحبه الذي لزم صحبته، العالم بأحوال العرب وأنسابها وأخبارها ولغاتها، أبو بكر الصديق، يقف أمامه مبهوراً بمنطقه وبلاغته، قائلا: "ما رأيت أفصح منك ، فمن أدبك يا رسول الله ؟ -يريد

---

(١) الأنعام: آية١٢٤.

(٢) سورة إبراهيم: آية٤.

من علمك هذه الفصاحة وهذا البيان-؟، فقال عليه الصلاة والسلام: أدبني ربي ونشأت في بني سعد"⁽¹⁾. ومن مظاهر هذا التأديب والتعليم أنه كان لا يتكلف القول، ولا يبحث للمعنى عن اللفظ، ولا للفظ عن المعنى، ولا يقصد إلى تزيين القول، وهو الأسلوب البليغ الذي وصفه الجاحظ بخير الأوصاف حيث قال: "هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف، استعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشد بالتأييد، ويسر بالتوفيق، وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول، وجمع بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ... لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، و لا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب... ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ولا أصدق لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه، من كلامه صلى الله عليه وسلم"⁽²⁾. وقد جمعت أم المؤمنين

---

(١) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن: المقاصد الحسنة: رقم٥٠، والحديث ابن شهاب الزهري، وإسناده واه.

(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين: ٢/ ١٣-١٤ وينظر: تاريخ آداب العرب: ٢/ ٢٨٢-٢٨٣.

عائشة رضي الله عنها هذه المزايا في وصفها لمنطق النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: "ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد كسردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل، يحفظه من جلس إليه"(١).

ويرى الرافعي بأن بلاغة القول قد كانت للنبي صلى الله عليه وسلم توفيقاً من الله وتوقيفاً، إذ ابتعثه الله للعرب وهم قوم فصاحة وبيان، ولهم في ذلك تنوع المقامات طبقاً لاختلاف طبقاتهم في اللغات وتفاوتهم في درجات بيانها وفصاحتها، وكان صلى الله عليه وسلم ملماً بكل ذلك، ويعلمه حق العلم، كأنما تكاشفه أوضاع اللغة بأسرارها، وتبادره بحقائقها، فيخاطب كل قوم بلغتهم وعلى مذهبهم، ثم لا يكون إلا أفصحهم خطاباً، وأسدهم لفظاً، وأبينهم عبارة. ومثل هذا لا يكون لرجل من العرب إلا عن تعليم أو تلقين أو رواية عن أحياء العرب، حياً بعد حي، وقبيلاً بعد قبيل، حتى يفلي لغاتهم، ويتتبع مناطقهم، مستفرغاً في ذلك، متوفراً عليه. وقد علمنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يتهيأ له شيء مما وصفنا، ولا تهيأ لأحد من سائر قومه على ذلك الوجه، علماً ليس بالظن، ويقيناً لا مساغ للشبهة فيه... فليس إلا أن يكون ما خص به النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك قد كان توفيقاً وإلهاماً من الله، أو ما هذه سبيله، مما لا ننفذ في أسبابه، ولا

---

(١) الألباني: مختصر الشمائل المحمدية: رقم ١٩١، والحديث روته عائشة رضي الله عنها بإسناد صحيح.

نقضي فيه بالظن، فقد علمه الله من أشياء كثيرة ما لم يكن يعلم، حتى لا يعيى بقوم إن وردوا عليه، ولا يحصر إن سألوه، ولا يكون في كل قبيل إلا منهم، لتكون الحجة به أظهر، والبرهان على رسالته أوضح"(١).

### خصائص البلاغة النبوية: بلاغة الإيجاز والإطناب

يمتاز أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم بالإيجاز أحياناً، وبالإطناب أحياناً أخرى، وأكثر ما يتميز بالإيجاز والاقتصاد في العبارة والكلام، فهو أسلوب خالص من الحشو، وخال من شوائب الإيجاز كما هو خال من شوائب الإطالة. وتتنوع صور الإيجاز في كلامه عليه الصلاة والسلام، حيث يسلك به مختلف جوانب اللغة ومظاهر البيان فيها. ويتصدر الحديث النبوي المكانة اللغوية التي عرف صاحبها عليه الصلاة والسلام بجوامع الكلم، كما عرف بالفصاحة والبيان لعلوه بين الناس في البلاغة، حيث يصفه أبو بكر الصديق رضي الله عنه فيقول: "إن ما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم من بلاغة وحسن بيان لا يتأتى لأحد من العرب". وتأتي هذه الشهادة من صحابي جليل عرف بملازمته للرسول وصحبته، وهو الذي خبر منطقه وكلامه، ورأى كيف كان يخاطب كل قوم بما يناسبهم حالاً ومقاماً، ولغةً وفصاحةً وبياناً. وفي هذا الشأن يقول مصطفى صادق

---

(١) تاريخ آداب العرب: ٢/ ٢٨٣-٢٨٤.

الرافعي: "ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله، وإن لم يكن لها منه دليل، فقد كانت هي من دليله، محكمة الفصول حتى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفضول حتى ليس فيها كلمة مفضولة، وكأنما هي في اختصارها وإفادتها نبض قلب يتكلم، وإنما هي في سموها وإجادتها مظهر من خواطره صلى الله عليه وسلم"(١).

## جوامع الكلم: البلاغة الجامعة المانعة.

لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم سمات بلاغية جاءت بوحي من الله تعالى من أجل تبليغ حقائق الشريعة بلسان عربي مبين، ومن هذه السمات اجتماع كلامه وقلّته مع غزارة معناه وإحاطته، وهو ما يسمى بجوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، التي تعد المصدر الثاني بعد القرآن الكريم للشريعة، بما اشتملت عليه من اتساع المعنى وإحكام الأسلوب، مع اجتماع المعاني وقلّة الألفاظ.

ونقتبس من هذه الجوامع النبوية مثالاً ورد عن أبي رقيّة تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الدين النصيحة قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم"(٢).

---

(١) تاريخ آداب العرب: ٢/ ٢٧٩.

(٢) صحيح مسلم: رقم ٥٥.

ويعتبر هذا الحديث من الأحاديث الكليّة الجامعة لحقوق الله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وكل هذا متضمن في هذا الكلمة الجامعة المانعة، كلمة النصيحة، وقد جاء لفظها متناسقاً مع تركيبه، ومتجاوباً مع دلالته، لأن النصح في الأصل هو الالتئام والجمع، ولا شك أن الناصح يريد إسداء المعروف للمنصوح بجمع شمله ولـمِّ شعثه، وإرشاده إلى الهدى والخير. وحديث النبي صلى الله عليه وسلم هذا: "الدين النصيحة" يدل على ذلك كله، لأن الدين قائم على النصيحة. وهذا مثل قوله: "الحج عرفة"، فلأهمية منسك عرفة والوقوف به يوم التاسع من شهر ذي الحجة، سمي الحج كله بعرفه، لأنه الركن الأساس في مناسك الحج، والذي بدونه لا ينعقد هذا الفرض من فروض الإسلام.

وهذا الأسلوب الفريد في الكلام يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يتكلم من غير حاجة، وحديثه شاهد على ذلك إذ يقول: "من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"(١)، وقوله: "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع"(٢). ومن طبعه الشريف غلبة فكره على لسانه، حتى قل كلامه، وخرج مقتصداً في ألفاظه ومحيطاً بمعانيه، في اجتماع

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري: رقم٦١٣٨، والحديث رواه أبو هريرة.

(٢) صحيح مسلم: رقم ٥، والحديث رواه أبو هريرة.

الكلام وقلة الألفاظ، مع جزالة الأسلوب وشمول المعنى من غير تصنع ولا تكلف.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره الثرثرة والاندفاع في الكلام من غير ترو ولا تأن، ومن ذلك أن رجلاً تكلم عنده فأطال الكلام، فخاطبه قائلا: "كم دون لسانك من حجاب؟"، فقال الرجل: شفتاي وأسناني. فقال له: "أفما كان لك في ذلك ما يرد كلامك؟"(١). إنه أسلوب الاقتصاد الذي تتصف به اللغة العربية وتتميز به، وهي سنته صلى الله عليه وسلم في الحديث وسنة الأنبياء جميعاً، حيث بنيت على بسط المعاني المستوفية في الألفاظ المقتصدة، واللفظ عندهم يقصد إلى المعنى قصداً لا عوج فيه ولا أمتاً.

ومن المعلوم أن هذه الظاهرة الأسلوبية هي من أثر القرآن الكريم الذي تخلق به النبي صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً، فكان خلقه القرآن، وكان أسلوبه في خطابه هو أسلوب القرآن أيضا، وهو الأسلوب الذي علمه صحابته، وأمرهم فيه أن يوجزوا إذا تكلموا، وأن يبلغوا حاجتهم من غير تكلف. وبالرجوع إلى أحاديثه صلى الله عليه وسلم يتبين أثر الأسلوب

---

(١) العراقي: تخريج الإحياء: ٣/ ١٤٢، والحديث رواه عمرو بن دينار المحدث، وهو مرسل ورجاله ثقات.

القرآني والبلاغة القرآنية في الحديث النبوي، من حيث الدقة في التعبير والاقتصاد في اللفظ، فيجمع المعاني الكثيرة والمتعددة في الألفاظ القليلة والمعدودة، ومن حيث التركيز على الإثارة والإقناع في اختيار اللفظ البعيد عن التكلف والتصنع، وفي إحاطة شاملة لقيم الجمال الفني وبراعة التصوير، مما يجعلها تمتاز بالفصاحة والبيان.

على أنه لا يؤخذ مما قدمنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يطيل الكلام إن رأى وجها للإطالة، فقد كان يفعل ذلك إن لم يكن منه بد. وقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب فيهم يوماً بعد العصر فقال: "صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما صلاة العصر بنهار ثم قام خطيباً فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه وكان فيما قال: إن الدنيا خضرة حلوة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء. وكان فيما قال: ألا لا تمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه. قال: فبكى أبو سعيد فقال: قد والله رأينا أشياء فهبنا، فكان فيما قال: ألا إنه ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته، ولا غدرة أعظم من غدرة إمام عامة، يركز لواؤه عند أسته. وكان فيما حفظنا يومئذ: ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى، فمنهم من يولد مؤمناً، ويحيا مؤمناً، ويموت مؤمناً، ومنهم من يولد كافراً، ويحيا

كافراً، ويموت كافراً، ومنهم من يولد مؤمناً، ويحيا مؤمناً، ويموت كافراً، ومنهم من يولد كافراً، ويحيا كافراً، ويموت مؤمنا. ألا وإن منهم البطيء الغضب سريع الفيء، ومنهم سريع الغضب سريع الفيء، فتلك بتلك. ألا وإن منهم سريع الغضب بطيء الفيء، ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء، وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء. ألا وإن منهم حسن القضاء، حسن الطلب، ومنهم سيئ القضاء، حسن الطلب، ومنهم حسن القضاء، سيئ الطلب، فتلك بتلك. ألا وإن منهم السيئ القضاء، السيئ الطلب، ألا وخيرهم الحسن القضاء، الحسن الطلب، ألا وشرهم سيئ القضاء، سيئ الطلب. ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه، فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض. قال: وجعلنا نلتفت إلى الشمس هل بقي منها شيء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها، إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه"(١).

قال الرافعي رحمه الله: "وهذه مدة لا تقدر في عرفنا بأقل من ساعتين، وحسبك بكلام من البلاغة النبوية يستوفيها. بيد أن الإقلال كان الأعم والأغلب"(٢).

---

(١) سنن الترمذي: رقم ٢١٩١، والحديث رواه أبو سعيد الخدري بإسناد حسن صحيح.

(٢) تاريخ آداب العرب: ٢/ ٣٠٢.

## بلاغة الإيجاز والإطناب:

قيل لأبي عمرو بن العلاء: لِمَ كانت العرب تطيل؟. قال: ليسمع منها. قيل: فلم توجز؟. قال: ليحفظ عنها. وقال قدامة: البلاغة ثلاثة مذاهب: المساواة، وهي مطابقة اللفظ والمعنى، لا زائداً ولا ناقصاً. والإشارة: وهي أن يكون اللفظ كاللمحة الدالة. والتذييل: وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، ليظهر لمن لم يفهمه، ويتأكد عند من فهمه. وأمر يحيى بن خالد كاتبين أن يكتبا في معنى، فأوجز أحدهما، وأطال الآخر، فقال للموجز لما نظر في كتابه: لم أجد موضع مزيد، وقال للمطيل: لم أجد موضع نقصان. وقال جعفر بن يحيى: إذا كان الإيجاز كافياً، كان الإكثار هذراً، وإذا كان التطويل واجباً، كان التقصير عجزاً(١). وفي البيان والتبيين أن المفضل بن محمد الضبي سأل أعرابياً: ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل. وقيل للمفضل: ما الإيجاز عندك؟ قال: حذف الفضول، وتقريب البعيد(٢).

فهذه أقوال جمعها الراغب الأصفهاني تبين معنى البلاغة وما يضادها، كما يتضح ذلك من ثنائية الإيجاز والإطناب، وبضدها تتميز الأشياء. وهذا يدل على أهمية ظاهرتي الإيجاز والإطناب في مجال البلاغة.

---

(١) محاضرات الأدباء: ٢٦.

(٢) البيان والتبيين: ١/ ٧٠.

وللإيجاز أو الإطناب جمال في الأسلوب إذا حقق كل منهما أداء المعنى فيما يستدعيه الموقف الذي يتطلب أحدهما، ويعتبر الإيجاز والإطناب في البلاغة مسألة نسبية، فقد تفرض طبيعة النوع الأدبي اتجاها إلى أحدهما، وقد يكون للطبيعة البشرية في كل إنسان قدر من التوجيه إلى هذا المنحى أو ذاك في التعبير. وإذا أخذنا المثالين التاليين من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسنرى الموقفين المختلفين اللذين تطلبهما كل سياق:

أما المثال الأول فقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الرزق ليطلب الرجل كما يطلبه أجله"(١). ومعنى الحديث أن الرزق مقدر للإنسان، مثله مثل الأجل، لابد أن يدركه وأن يناله، وهذه حتمية إلهية حسم فيها الحديث النبوي بكلمات معدودة، في حين أنها تحتاج في حديث بشري إلى تفصيل مستفيض لكي يستوفي معناها التام.

وأما المثال الثاني، فقوله صلى الله عليه وسلم: " المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء. والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه"(٢). ويبين هذا الحديث حقيقة المسلم وما ينبغي أن يكون عليه من خلق يناسب إسلامه

---

(١) المنذري، زكي الدين عبدالعظيم: الترغيب والترهيب: ٣/ ١٠، والحديث رواه أبو الدرداء بإسناد صحيح أوحسن أو ما قاربهما.

(٢) الترغيب والترهيب: ٣/ ٣١٩، والحديث رواه أنس بن مالك بإسناد جيد.

الذي يدعو إلى مكارم الأخلاق. فتطلب هذا المقام شيئاً من التفصيل لما ينبغي أن يتصف به المسلم في معاملته للناس، وما ينبغي أن يتحلى به من شيم يسمو بها عن الدنايا، ويحفظ بها جوارحه عن اقتراف الأذى وارتكاب الخطايا، مما يجنبه مصاف الأشرار، ويحشره مع الأبرار.

هكذا يتضح أن في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل مقام مقال، فكان يتكلم بما يناسب الحال والمآل، وكان يغلب على كلامه الإيجاز والاقتصار في موطن التقصير، كما كان يغلب على كلامه الإطناب والإسهاب في موطن التطويل، وكان يغمره في ذلك كله بغلبة فكره على لسانه، فتنزه كلامه عن الحشو، وبرئ من الإطالة من غير طائل، كما تنزه أيضاً عن الإخلال والتفريط في استيفاء المعنى.

وتتصل ظاهرة الإيجاز في الحديث النبوي بما يسمى بجوامع الكلم، لأن هذا المصطلح يوحي بالإيجاز ويحيل عليه، إذ هو المفضي إلى الدلالة على المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، موفية بالمعنى. وقد عرف ذلك عند البلاغيين بإيجاز القصر وهو أحد نوعي الإيجاز، ومن أمثلته قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى"(١)، قال ذلك لامرأة مر عليها وهي تبكي عند قبر، فقال: "اتقي الله واصبري. قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي. ولم

---

(١) صحيح البخاري: رقم ١٢٨٣، والحديث رواه أنس بن مالك.

تعرفه، فقيل لها: إنه النبي صلى الله عليه وسلم. فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم، فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال صلى الله عليه وسلم: إنما الصبر عند الصدمة الأولى"(١). فقصر الصبر على الصدمة الأولى، أي عند مفاجأة المصيبة. وفي هذا حث على الصبر في اللحظات الحرجة التي يفاجأ فيها المرء بما ينزل به من مصائب، فإن هذا كله يفتح له باب الرجاء ويحثه على الإنابة إلى الله تعالى. وقلما يكون الصبر عند الصدمة الأولى من المتصبر، وإنما يكون من الصبور، وهي مقامات بعضها فوق بعض.

### بلاغة الدعاء النبوي:

يحتل الدعاء النبوي مكانة أدبية رفيعة القدر، حتى إن كل دعاء من أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم يعتبر درة من الدرر في البلاغة. لقد تجلى التعبير الصادق عن العواطف في هذه الأدعية التي نفث فيها الرسول من روع جنانه وصب فيها عصارة قلبه، وتلفظ لسانه بأروع الألفاظ. وما عبر لسان عما يتلجلج في الصدر، ويحمله القلب بأصح ما يكون التعبير، وبأصدق ما يكون التصوير، مما جاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم. وأي خطاب وجداني من القلب، وأية مناجاة صادقة المشاعر أرفع من دعائه وتضرعه لربه عز وجل؟.

لا يكاد الإنسان يجد حقيقة الصدق والإخلاص في القول بالقدر الذي يجده في الدعاء، وخاصة عندما تكون جمعية القلب على الله تعالى. وإن من

أهم عناصر فن القول الإخلاص والصدق، ويكون ذلك أكثر جلاء في الدعاء، والدعاء من فنون القول، بل هو من الأدب الرفيع الذي ترتفع فيه حرارة الصدق والإخلاص، وهما العنصران اللذان يهبان فنون القول الروح والقوة والحيوية، ويمنحانه الحقيقة الأبدية والسرمدية.

إن الكلمات الصادرة على لسان النبي صلى الله عليه وسلم هي كلمات داع ضارع إلى ربه، يناجيه بقلب خاشع ونفس مطمئنة. يؤمن بمن يتوجه إليه في دعائه حق الإيمان، ويوقن بوعده يقينا تاما، ويدعوه وهو موقن بالإجابة، قد أجمع قلبه ووجدانه على الله، وتملكه الرهب والجلال الرباني، ورفع إليه يديه خوفاً وطمعاً، وتوجه إليه تضرعاً وخشيةً، وكله رجاء وثقة بعدله وكرمه وفضله. فكيف لا يكون قول صادر من قلب هذه حال صاحبه، ملؤه الإخلاص والتجرد، ولاسيما إذا كان هذا القول قد جرى على لسان تردد عليه الوحي الإلهي، ولهج بذكر الله وتلاوة القرآن، فما زاده ذلك كله إلا شموخاً في البلاغة وقمة في البيان، فكان صلى الله عليه وسلم أفضل من ملك ناصية البلاغة والفصاحة.

ونورد في هذا المقام بعض القطوف الدانية من أدعية النبي صلى الله عليه وسلم، ونبدأها بدعاء الطائف، حين لجأ هارباً من اضطهاد قريش، فإذا به يجد أشد منه في أهل الطائف الذين استقبلوه بالظلم، وواجهوه

بالطرد من جوارهم، وعاملوه أسوأ المعاملة. فمن أبلغ من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يشكو حزنه وبثه إلى الله، ويلتمس لقومه المغفرة لأنهم -في نظره- لا يعلمون مقدار دعوته حق مقدارها، ولا يقدرونه حق قدره؟ وها هو يعرض على ربه ضعفه وهوانه على الناس، فيستعمل في التعبير عن ذلك من فن القول ما يعجز عنه كل لسان مهما أوتي من الفصاحة والبيان.

ولنستمع إلى حديثه صلى الله عليه وسلم، وهو ينقل لنا تلك الصورة المؤثرة التي تظهر حالة نبي مرسل يتعرض للأذى من قبل قومه، حتى إنهم أزروا به صبيانهم وسفهاءهم، فرموه بالحجارة وأدموه، فينحاز إلى زاوية حزيناً كئيباً، هارباً بنفسه، مثقل القدمين المضرجتين بالدماء، وهو في قمة الشعور بالذل والانكسار، فيتحرك لسانه بالقول البليغ الذي يهز كيان المشاعر قائلا: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الرحمين، إلى من تكلني. إلى عدو يتجهمني، أو إلى قريب ملكته أمري. إن لم تكن ساخطاً علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له السماوات والأرض، وأشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن تحل علي غضبك، أو تنزل علي سخطك، ولك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك"(١).

---

(١) السيوطي، جلال الدين بن أبي بكر: الجامع الصغير: رقم١٤٨٣ ، والحديث رواه عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وإسناده حسن.

وقد تحركت من سماع هذا الكلام البليغ المؤثر في النفوس بوقعه الشديد عاطفة القرابة في قلوب بعض بني ربيعة، فدعا رجلان منهم غلاماً لهم نصرانياً، يدعى عداساً وقالا له: خذ قطفا من العنب، واذهب به إلى الرجل. فلما وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، مد يده إليه قائلا: باسم الله، ثم أكل. فقال عداس: إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة. فقال له النبي: من أي البلاد أنت؟. قال: أنا نصراني من أهل نينوى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال له: وما يدريك ما يونس؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي. فأكب عداس على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجليه يقبلهما. فقال ابنا ربيعة أحدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاء عداس قال له: ويحك ماهذا؟ قال : ما في الأرض خير من هذا الرجل(١).

ومن الدعاء المأثور سيد الاستغفار الذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: "اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت"(٢).

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) **البخاري**، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري: رقم ٦٣٠٦، والحديث رواه شداد بن أوس.

إنه الدعاء الذي يستجلب رحمة الله تعالى وعفوه ومغفرته، وهو الذي يعبر فيه الرسول صلى الله عليه وسلم عن عجزه وضعفه بين يدي الله عز وجل وعظمته، ويقر فيه بعبودية الخالق، وهو الدعاء الذي يعلم الإنسان كيف يستغفر ربه معترفاً بما صدر منه من الذنوب والخطايا، ومتوسلاً إليه، طالباً العفو والصفح، فهو الذي يملكه وما ملك، وكل شيء بيده، وهو الذي يرحم عباده ويتولاهم.

ومن بلاغة الدعاء النبوي قوله صلى الله عليه وسلم في دعاء القنوت: "اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت"(١).

ومنها أيضا الدعاء الجامع المانع الذي يرويه خادمه الوفي أنس بن مالك رضي الله عنه، حيث يقول: "كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما نزل، فكنت أسمعه يكثر أن يقول:" اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال"(٢).

---

(١) أبو داود: سنن أبي داود: رقم ١٤٢٥، والحديث رواه الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو مسكوت عنه، وإسناده صحيح عند النووي في الأذكار: رقم٨٦.

(٢) **البخاري**: **صحيح البخاري**: الرقم٦٣٦٣، والحديث رواه أنس بن مالك.

فهل وردت مظاهر البلاغة في الدعاء وأدبه عن أحد كما وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وهل سمع أحد من فنون القول مثل هذا الكلام الذي مر معنا وهذا الذي يقول فيه: "اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، اللهم اكفنا ما أهمنا من أمر آخرتنا ودنيانا، اللهم إنا نسألك من الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله"(١).

لقد علم النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة بلاغة الدعاء، فكان يردد على مسامعهم ما يحفظونه عنه فيقول:"اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا تنزع مني صالح ما أعطيتني إذا أعطيتنيه ، فإنه لا نازع لما أعطيت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد"(٢). وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه علّم أبا بكر أن يقول في كل صلاته: "اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم"(٣).

---

(١) **المنذري، زكي الدين عبدالعظيم : الترغيب والترهيب**: ٤/ ٣٣، والحديث رواه عبدالله بن عمر، و إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربها.

(٢) **أبو نعيم**، أحمد بن عبدالله الأصبهاني المصدر: **حلية الأولياء**: ٧/ ٢٧٩، والحديث رواه المغيرة بن شعبة، وإسناده غريب من حديث مسعر٢٧٩/ ٧ .

(٣) **البخاري: صحيح البخاري** : رقم٨٣٤، ومسلم: صحيح مسلم: رقم ٢٧٠٥، والحديث رواه أبو بكر الصديق، وإسناده صحيح.

ومن دعا بمثل هذه الأدعية صادرة من قلب مؤمن بحق الإيمان فحري أن يستجيب الله له كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾(١). وهؤلاء الصحابة الذين علمهم الرسول صيغ الدعاء البليغة هم أصدق عباده وأكرمهم عنده. وقد جاءت الآية مصدرة بإذا الشرطية، وهي من حروف المعاني، إضافة إلى كونها من أدوات الشرط، وقد تم توظيفها في السياق لأداء غرض بلاغي يراد تحقيقه في هذا المقام، وهو حث المؤمنين على الدعاء وترغيبهم فيه، ويتجلى ذلك من خلال دلالة هذه الأداة التي تأتي في الأمور المحقق وقوعها، والمتيقن حدوثها، ولا شك أن مقام الدعاء والترغيب فيه مستلزم لهذه الأداة ومتطلب لها،كما أن في ذلك إشارة إلى تحقق الإجابة، فقد وعد الله تعالى عباده المؤمنين بذلك، ووعده الحق.(٢). ورب العباد هو الذي استجاب لنبيه موسى عليه السلام، لما سأله أن ينجيه من القوم الظالمين فأنجاه؟ وهو الذي أعطى سبحانه النبوة لأخيه هارون عندما سأل موسى ربه: ﴿يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾﴾(٣)، فقال الله تعالى في ذلك: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾. (٤)

---

(١) سورة البقرة: آية ١٨٦.

(٢) قطب، سيد: في ظلال القرآن: ٢/ ١٦٧.

(٣) سورة طه: آيتان ٢٨-٢٩.

(٤) سورة مريم: آيات ٥١-٥٣.

لقد جاءت نصوص الدعاء النبوي بأفصح الألفاظ وأجمل التراكيب والعبارات، بل إن المتأمل في كلام العرب لن يجد في البيان العربي ما يفوق كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه خاصة، وفي حديثه بصفة عامة، من حيث البلاغة والفصاحة. فإن الحديث النبوي قد أتى بأساليب جديدة وعبارات مبتكرة لم تعرف لها العرب من قبل مثيلاً في لغتها، مما زادها غنى وتطوراً في أساليب التعبير وفنون القول. وقد استطاعت هذه البلاغة النبوية أن تؤثر تأثيراً واسعاً وعميقاً في حياة الصحابة وفكرهم وتصورهم، وأن تغير من سلوكهم وتصرفاتهم ومواقفهم.

هذه نماذج يسيرة من أدعية نبوية مأثورة، حملت نور النبوة إلى القلوب العطشى، فارتوت بيقينها في الاستجابة، وهي تمثل كلام النبي المرسل الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وإن ما صدر عنه من هذه الأدعية المأثورة لدليل من دلائل النبوة.

فهل سبق لأحد رفع يديه مناجياً ربه بمثل هذه العبارات التي يتم فيها التناسق الكامل والتآلف التام بين اللفظ والمعنى، فإذا بالألفاظ يلائم بعضها بعضاً، وهي كلها متوجهة إلى الغرض المنشود؟ إن الكلمات كلها مسوقة إلى هدف واحد وهو التضرع بين يدي الله عز وجل في السؤال بإلحاح، يعرض عليه حاله، مترقباً منه الإجابة بيقين تام، يلفه الخشوع والرهبة، ويشرئب إلى البشارة بالقبول والرحمة.

وكلما استعرضنا أحاديث الدعاء النبوي الشريف وجدنا هذا التناسق وهذا الانسجام بين المعاني والألفاظ المختارة لأدائها، حيث هي الألفاظ تسابق معانيها، ومعانيها تسابق ألفاظها، جارية على قوانين اللغة السليمة من التنافر، البعيدة عن الغموض والتعقيد، عذبة سلسة كالماء في الانسياب، وكالنسيم في الرقة.

**بلاغة التعليم:**

خاض كثير من الباحثين في قضية البلاغة التعليمية، ومال الكثير منهم إلى التقليل من شأن الخطاب التعليمي في استعماله للأساليب البلاغية. ولعل هذا كان من الأسباب التي صرفت الأنظار عن تناول النص الحديثي من الناحية البلاغية، في حين إن نفي البلاغة عن الأسلوب التعليمي قضية فيها نظر، وتكاد تكون ملغومة إذا ما تعلق الأمر بالخطاب النبوي. وبعيداً عن هذا الادعاء فإن الأسلوب التعليمي هو الأسلوب الذي ينبغي أن يكون راقياً في تعبيره عن الأغراض المطروحة، وأن يكون مقنعاً ومؤثراً، وذلك ما ينتظر منه. وإن الغاية في الحديث النبوي هي تعليمية لكنها بلاغية جمعت بين مقومات البلاغة ومقتضيات التعليم.

فكيف يرقى خطاب تعليمي، كخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن يكون بلاغياً، وهو الذي يركز على المعنى، وينشد التواصل، بل إنه لا

يقف عند حدود البلاغة، وإنما يرتقي إلى مصاف الإعجاز البلاغي، وإذا بالمعاني تتزين في حلل المباني، ويتحقق الانسجام التام بين اللفظ والمعنى.

ومع أن الحديث النبوي قد عرف اختلاف الروايات، فإن ذلك لم يزده إلا بياناً وجمالاً. فلم يخرجه من بلاغته لا المنحى التعليمي الموجه للمخاطبين على اختلاف مداركهم ومشاربهم واستيعابهم، ولا اختلاف الروايات المتنوع، ولم ينقصه ذلك من جمالية الأسلوب البياني، على الرغم مما يزعم البعض بأن الحديث النبوي مروي بالمعنى، وما يستتبع ذلك الزعم من الخوض في الصياغة، هل هي للرواة أم للنبي صلى الله عليه وسلم؟

**أسلوب الأمر والنهي في الخطاب النبوي التعليمي:**

كثيراً ما يرد الأمر والنهي في الحديث النبوي بالأسلوب الصريح، لكن الدلالة عليهما لا تكون أحياناً باللفظ الصريح، فكثيراً ما يأتي الأمر أو النهي بأسلوب خبري، يتحول حسب القرائن والأبعاد السياقية إلى طلب يراد منه أحدهما. ويتدخل سياق الكلام ليحدد الدلالة التي ينتج عنها الأمر أو النهي في الحديث النبوي، لأن الطلب بالأمر أو النهي تنتجه الصيغ الدلالية. فهل هذه الصيغ تدخل ضمن الظواهر البلاغية؟

ويرجع بنا هذا السؤال إلى النظر في بلاغة الخطاب التعليمي، وقبل تناول الظاهرة البلاغية للأمر والنهي في الحديث النبوي، على اعتبار أن لكل نص

بلاغته، لابد من الإشارة إلى أن الأمر والنهي يأتيان على وجه الإلزام، كالحث على الفعل أو الكف عنه. ويأتيان على وجه التشريع للفعل حينما يتعلق ذلك ببيان الحلال والحرام مثلا... وفي الحالتين معاً يكون البعد التشريعي محدداً لدرجة الأمر والنهي، بحيث يتجلى فيهما التفاوت في الظواهر الأسلوبية، فيتعلق بكل واحد منهما ما يناسبه من التراكيب المؤدية إلى صياغة دلالاتهما.

ومعظم البلاغيين مجمعون على أن لكل قول بلاغته المرتبطة بأبعاده الخطابية، مع وجود خاصية لكل نص أو قول تتلاءم مع ظروف وجوده وتلقيه، لأن الحديث النبوي لا يقف عند حدود الأمر والنهي، ولكنه يتجاوز ذلك ويتخطاه إلى التمكين لمضمون هذه الأساليب في نفس المتلقي. وهذه مهمة تعليمية لا تأتي في الخطاب النبوي إلا ضمن صياغة أسلوبية بلاغية.

إن التحليل البلاغي هو تتبع للظواهر الأدبية وليس تطبيقاً للقواعد. ومن هنا فإن المنطلق هو تتبع الظواهر البلاغية في الحديث النبوي، وهي من الغزارة بمكان بحيث تفسح المجال لكل باحث جاد في استخراج ما يمكن استخراجه منها، يدل على ذلك ما يتمتع به الحديث النبوي من وفرة الأساليب البلاغية.

ومن هذا المنطلق لابد من تصحيح النظرة السائدة المدعية بأن الدرس البلاغي ينبغي أن يبدأ من القواعد والحدود، بل من الأولى أن ينطلق من استقصاء الظواهر البلاغية في مظانها، لأن النصوص البيانية هي مرتبطة بالظاهرة الأدبية قبل أن ترتبط بالقواعد البلاغية من بيان وبديع ومعانٍ.

ولست هنا متفقاً مع القائلين بأن البلاغة ظاهرة أدبية، كما يزعم الغربيون، بل البلاغة هي مرتبطة بالظاهرة الأدبية، وقد ارتبطت بها أشد ما يكون الارتباط، ولم تنفك عنها إلا في عصور متأخرة، سادها الضعف والانحطاط.

ومنذ العصر الجاهلي والبلاغة مرتبطة بالأدب وحاضرة فيه كمادة حية جميلة، وليست كقواعد، شأنها في ذلك شأن سائر علوم الآلة التي لم يُقعَّد لها قبل القرن الثالث الهجري. ولما نزل القرآن الكريم أعطى للبلاغة نفساً جديداً تمثل في أسلوب الإعجاز وقوة البيان، مما جعل العرب على اختلاف قدراتهم اللغوية والبيانية يقفون مبهورين أمام بلاغته، وزاد من انبهارهم وإفحامهم ما حمله من لغة جديدة وسعت من خيالهم ومداركهم، وفتحت لهم آفاقاً أرحب وأوسع للفكر والتأمل والإبداع.

ثم جاء الحديث النبوي في قمة الفصاحة والبيان بأسلوبه الرفيع في البلاغة، وهو الأسلوب الذي يصدر من نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب، لكنه نموذج لغوي عربي فريد في فن القول، لم يسبق أن عرفت العرب مثله في الجمال والكمال، ولم يتأت لأحد منهم أن ينسج على منواله، فلم يكن من أعلم العرب بالشعر رجزه وقريضه، وبالنثر سجعه وخطبه، إلا أن أذعنوا له، واعترفوا بروعة بيانه وحسن منطقه، ومن هؤلاء الوليد بن المغيرة، وكذلك عمر بن الخطاب قبل إسلامه.

وما دامت الدراسات البلاغية قد بنت منطلقاتها في الدرس والتحليل على هذه النظرة السائدة التي سبق ذكرها، ولم تميز بين النظرية والتطبيق على مستوى الخطاب، فإنها لم تراع تبعا لذلك الخصائص المنهجية لمستويات هذا الخطاب، ولذلك ركزت الدراسات البلاغية القديمة على الخطاب القرآني والخطاب الشعري، وأهملت الحديث النبوي، بحجة أنه خطاب تعليمي، ولم تتطرق إليه إلا من زاوية القواعد البلاغية من بيان ومعاني ومحسنات بديعية، دون النظر في تحليل هذه الظواهر البلاغية التي حفلت بها الأحاديث النبوية، والتي تؤسس لخصائص الخطاب البلاغي، وتضع له الإطار النظري المحدد للأصول البلاغية المبنية على الدرس والتحليل للظواهر والأساليب من خلال النصوص الحديثية.

وقد سمى بعض الباحثين هذا النمط من الخطاب البلاغي التعليمي ببلاغة الحقيقة⁽¹⁾، وهي التي تتغيَّى تمكين الحقائق من خلال أسلوب الأمر والنهي، مما يستدعي المنهج التعليمي المحص لهذا الأسلوب، والذي يطلب البيان والإيضاح تحقيقاً للغاية البلاغية التعليمية، أو ما يسمى بالمنهج التربوي للبلاغة النبوي، الذي يركز على البعد الإقناعي أكثر مما يركز على البعد الجمالي.

---

(1) بلبع، عيد: السياق و توجيه دلالة النص: ص ٣٤.

**وختاماً:**

فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد اجتمعت فيه خصال كثيرة، أعربت لسانه، وزينت بيانه، وجعلته أبلغ البلغاء وأبين الفصحاء. ومن ثم ينبغي للنسق البلاغي للكلم النبوي أن يتخذ أرضية لدراسة البلاغة العربية انطلاقاً من التغيير الجذري الذي أحدثه في الحالة اللغوية التي وجد عليها العرب. لقد انبهرت العرب بأسلوب القرآن، لكن البلاغة النبوية أخذت بقرائحهم، وحولتهم من الانبهار المحض تجاه التحدي الذي واجههم به القرآن الكريم إلى الانخراط في العمل بشرائع هذا التحدي، فتهذبت طباعهم تبعاً لتهذيب ألسنتهم. وإذا بالقرآن الذي جعله الله تعالى بياناً للناس وبينات من الهدى والفرقان، قد قيض له السنة النبوية لبيان هذا البيان الذي أنزله للعالمين.

وأحب أن أنهي كلامي في هذا البحث المتواضع برأي شيخ الأدباء والنقاد الأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمة الله عليه، الذي يرى فيه بأن دولة الكلام قد قامت في العرب، لأن الكلمة كانت عندهم نافذة، لا يصدها اختلاف من اللسان، ولا يعترضها تناكر في اللغة، ولكن هذه الدولة بقيت بلا ملك حتى جاءهم القرآن(١). وأقول بأن هذا الملك الذي هو القرآن قد نصب الكلم النبوي حاكماً ضمن حكمه، لما يتميز به نسقه البلاغي من القدرة والقوة على الفصاحة والبيان.

---

(١) الرافعي، تاريخ آداب العرب: ٢/ ١٥٢.

## بعض مراجع البحث:

- الأصبهاني، الراغب: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، تحقيق إبراهيم زيدان، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، سنة١٤٠٦/ ١٩٨٦.
- الألباني، محمد ناصر الدين: مختصر الشمائل المحمدية، المكتبة الإسلامية – عمان – الطبعة الأولى – سنة١٤٠٥ هـ.
- البابرتي، كمال الدين محمد بن محمد: شرح التلخيص، تحقيق محمد مصطفى صوفية، المنشأة العامة، طرابلس ليبيا، سنة ١٣٩٢/ ١٩٩٣.
- البخاري، محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه، تحقيق محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية – القاهرة – الطبعة الأولى – سنة١٤٠٠ هـ.
- بلبع، عيد: السياق وتوجيه دلالة النص، دار بلنسية للنشر والتوزيع، سنة٢٠٠٧.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة: الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، تحقيق أحمد بن محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بدون طبعة ولا تاريخ.
- الجاحظ، عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، دار الفكر للجميع، سنة١٩٦٨.

- الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.
- الجرجاني: أسرار البلاغة، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة السادسة.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني: هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة، تحقيق علي بن حسن بن عبدالحميد الحلبي، دار ابن القيم – الدمام – الطبعة الأولى – سنة ١٤٢٢هـ
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: السنن، تحقيق عزت بن عبيد الدعاس، دار الكتب العلمية– بيروت – الطبعة الأولى – سنة ١٣٨٨هـ.
- الرافعي، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٤/ ١٩٧٤.
- السخاوي، محمد بن عبدالرحمن: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتب العربي – الطبعة الثانية – سنة١٤١٤ هـ.
- سلطان، منير: بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منشأة المعارف بالإسكندرية، سنة ١٩٨٨.

- السيوطي، جلال الدين بن أبي بكر: الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الكتب العلمية- بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.
- الشوكاني، محمد بن علي: الفوائد المجموعة للأحاديث الموضوعة، تحقيق عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، الطبعة الأولى - سنة ١٣٨٠هـ.
- ضيف، شوقي: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة التاسعة.
- العسكري، أبو هلال عبد الله بن سهل: كتاب الصناعتين، تحقيق محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠١/ ١٩٨١.
- عودة، خليل عودة: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، دار المنار، الزرقاء بالأردن، الطبعة الأولى، سنة١٤٠٥/ ١٩٨٥.
- فريد، فتحي عبد القادر: فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة١٤٠٤/ ١٩٨٤.
- القزويني، أبو عبدالله، قاضي القضاة: الإيضاع في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة١٤٠٥/ ١٩٨٥.
- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح المسند الصحيح المختصر من السنن، تحقيق محمد بن فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - الطبعة الأولى - سنة١٣٧٤ هـ.

- ابن الملقن، عمر بن علي: خلاصة البدر المنير في تخريج أحاديث الفتح الكبير، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، دار الرشد – الطبعة الأولى، سنة١٤١٤هـ.
- المنذري، زكي الدين عبدالعظيم: الترغيب والترهيب، تحقيق محمد السيد، دار الفجر للتراث– القاهرة – الطبعة :الأولى – سنة١٤٢١ هـ.
- أبو نعيم، أحمد بن عبدالله الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية– سنة ١٤٢٣هـ.
- النووي، يحيى بن شرف الدين: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، مكتبة المؤيد، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨هـ.